أعمال الملك عبدالعزيز الإصلاحية

لا يقدر مجهودات الملك عبدالعزيز حق قدرها إلا الواقفون على أحوال البلاد العربية المتصلون بها، الخبيرون بشئونها، الملمون بأحوال سكانها وطرق معيشتهم. إن الذي يعرف بلاد العرب - في أوائل هذا القرن- عن خبرة شخصية، أو يقرأ كتب الجوابين من الإنجليز: يعرف ما لهذا الرجل من فضل في استتباب الأمن، والضرب على أيدي قطاع الطرق من القبائل.

والذي يعرف بلاد العرب وما كانت عليه من تشاحن بين أمرائها، وحروب مستعرة بين حكامها، يقدر مجهود هذا الرجل في قطع دابر الخصومات بتوحيد بعض الإمارات المتخاصمة.

ولقد ذكرنا في فصول متفرقة في هذا الكتاب ما له من الأيادي، كإدخال النظام الصحي الحديث في نجد والإحساء بالإكثار من الأطباء، وإنشاء المستشفيات المتنقلة لمعالجة المرضى، لزن حالة البلاد المالية لا تساعد على إنشاء مستشفى في كل بلد،كما أدخل نظام التطعيم ضد الجدري بالرغم من معارضة بعض المتعصبين، كما ذكرنا فضله على العمل لنشر التعليم والإكثار من المدارس، ومكافحة الجهل بكل الوسائل الممكنة، ولولا قلة المال الذي يعوز كل مشروع إصلاحي لوجدنا البلاد العربية التي يقود سفينتها عبدالعزيز أسبق البلاد وأسرعها خطى في طريق التقدم.

والملك عبدالعزيز في طريقه الإصلاحي يفضل التؤدة والتأني وإعداد الشعب تدريجاً لما يريد له من الإصلاح.

إن كثيراً من القراء لا يدركون الصعوبات التي كان يعانيها الملك عبدالعزيز، ولا العقبات التي كانت تقف في سبيل مايريد من المشروعات.

لقد مكث الملك عبدالعزيز يجاهد ويجالد في سبيل التليفون والتلغراف اللاسلكي جهاداً عنيفاً - مرة مع الإخوان، وآونة أخرى مع العلماء نحو عشر سنوات- وكان هذا الموضوع من الموضوعات التي أثارت عليه حفيظة الإخوان.

سأقص عليك القصتين التاليتين، ومن كثير، لتعرف المحيط الذي كان يحيط بالملك عبدالعزيز، وتعرف الصعوبات التي كان يعالجها ويحاول التغلب عليها.

أوفدني جلالة الملك للمدينة سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م مع عالم كبير من علماء نجد للتفتيش الإداري والديني، فجرى ذكر التلغراف اللاسلكي وما يتصل به من المستحدثات، فقال الشيخ: لاشك أن هذه الأشياء ناشئة من استخدام الجن، وقد أخبرني ثقة أن التلغراف اللاسلكي لا يتحرك إلا بعد أن تذبح عنده ذبيحة، ويذكر عليها اسم الشيطان.

ثم أخذ يذكر لي بعض القصص عن استخدام بني آدم للشيطان، ولم يكن لشرحي لنظرية التلغراف اللاسلكي وتاريخ استكشافه نصيب من إقناع الشيخ، فلم أجد أي فائدة من وراء البحث. فسكت على مضض.

وفي يوم من الأيام دعاني الشيخ لمرافقته لزيارة قبر حمزة عم الرسول ﷺ عند جبل أحد - وهو يبعد عن المدينة بالسيارة نحو نصف ساعة - فلبيت الدعوة وسرنا من المدينة بعد صلاة العصر، وفي أثناء الطريق أوقفت السيارة عند محطة التلغراف اللاسلكي، وهنا دار بيني وبين الشيخ الحديث التالي :

سأل الشيخ: لماذا وقفت السيارة؟ فأجبته: لنرى التلغراف اللاسلكي، فإن كان هنالك ذبائح ودعوة لغير ا ، فإني سأحرقه مهما كانت النتيجة، فالدين لا لابن سعود، وقد يكون الملك مخدوعاً في أمر هذه التلغرافات، وتذكر له الأشياء على غير حقيقتها. فقال الشيخ: بارك ا فيك. فدخلت المحطة، وبعد

البحث لم يجد الشيخ أي أثر لعظام الذبائح وقـرونها أو صوفها، ثم أراه الموظف المختص طريقة المخابرة. وفي دقائق تبودلت المخابرات والتحيات بينه وبين جلالة الملك في جدة.

كانت هذه الزيارة البسيطة مدعاة للشك فيما كان يعتقده من عمل الشيطان في المخابرات الـلاسلكية، ولكنه ظن أني ربما دبرت هذه الحـيلة بإيعاز المـلك، فزار الشيخ مـحطة التلغراف بضع مـرات منفرداً في أوقات مـختلفة، بدون أن يخـبر أحداً بعـزمه، فكان يفـاجئ العامل المخـتص بالزيارة، ويسأله عن كل مـا يخفى عليـه، وقد أخبـرني الشيخ ونحن في طريـق عودتنا إلي مكة، بأنه يسـتغـفر ا ويتوب إليه مما كـان يعتقده، ويتهم به بعض الناس- وربما كـان يقصدني بذلك - ثم ختمت الموضوع بقولي : ما قولكم يا حضرة الشيخ ف يرواية أولئك الثقات؟ أخشى أن تكون رواياتهم لكم عن أكثر المسائـل العلمية كرواياتهم عن التلغراف! فقال حسبي ا ونعم الوكيل.

وقد أخبرني جلالة الملك في شعبان سنة ١٣٥١هـ - ديسمبر سنة ١٩٣٢م أثناء زيارتي للرياض أن بعض كبـار رجال الدين حضـروا عنده سنة ١٩٣١م لما علموا بعزمـه على إنشاء محطات لا سلكيـة في الرياض وبعض المدن الكبيـرة في نجد، فقالوا له : يا طويل العمر، لقد غشك من أشار علي باستعمال التلغراف وإدخاله في بلادنا وإن «فلبى» سيـجر علينا المصائب، ونخـشى أن يسلم بلادنا للإنجليز، فقـال لهم الملك : لقد أخطأتم فلم يـغشنا أحد، ولست - و الحـمد- بضـعيف العقل، أو قـصير النظر لأخدع بـخداع المخادعين، وما «فلبى» إلا تاجـر. وكان وسيطاً في هذه الصفقة، وإن بلادنا عـزيزة علينا لا نسلمها لزحد إلا بالثمن الذي استلمناها به. إخواني المشايخ، أنتم الآن فوق رأسي. تماسكوا بعضكم ببعض لا تدعـوني أهز رأسي فيـقع بعـضكم أو أكثـركم، وأنتم تعلمـون أن من وقع على

المرحوم الملك عبدالعزيز في شيخوخته

الأرض لا يمكن أن يوضع فوق رأسي مـرة ثانية؛ مسئلتـان لا أسمع فيهـما كلام أحد، لظهور فائدتهمـا لي ولبلادي، وليس هنالك من دليل من كتاب ا أو سنة رسول ا ﷺ يمنع من إحداث اللاسلكي والسيارات.

وعندما وضـعت الآلة الاسلكية في الرياض واسـتعملت، كـان الناس يغرى بعضـهم بعضـاً بأن إنشاء هذه المحطة هو الحـد بين الخيـر والشر. وكان الـعلماء يرسلون من يأتمنـونهم لزيارة المحط ورؤية الشـيـاطين والذبائح تقـدم لهم؛ فلم يجدوا شيئاً.

وقد أخبـرني عامل المحطة بأن بعض المشايخ الصغار كـانوا يترددون عليه من وقت لآخر لسـؤاله عن موعد زيارة الشـياطين. وهل الشيطان الكبـير في مكة أو الرياض؟ وكم عدد أولاده الذين يساعـدونه في مهمة نقل الأخبار فكان يجـيبهم بأن ليس للشياطين دخل في عمله، وكان بعضـهم يغريه بالنقود وأنهم سيكتمون هذا السـر. ولكن العامل كـان يأخـذ الأخبـار ويرسلهـا أمامـهم ويخبـرهم أن الموضوع صناعي محض.

كانت الأيام تعمل عملها في نفوسهم، ورسلهم ينقلون إليهم حقيقة ما يرونه ويشاهدونه حـتى لمسوا فـائدة سرعة الأخـبار في فـتنة ابن رِفادة وعسـير. فـقد ساعـدهم ذلك على قمع الفتنة سـريعاً، ولو كان الاعـتماد على الجـمال لكانت الأخبار لاتصل قـبل ٢٥ يوماً أو أكثر، ومثلهـا في الرجوع، ولا يعلم إلا ا ماذا يجري من الحوادث أثناء ذلك.

وتذكرنا هذه القصة بما كان يجـري في القرون الوسطى في أوربا، فماذا قوبل القـائل بدوران الأرض؟ وبماذا قابل إمـبراطـور ووزراؤه الساعـة التي أهداها له هارون الرشيد؟ ألم يفـزعوا منها؟ ولقد حدث مثل هذا في نجـد قبل ستين سنة؛

فإن زول ساعة دقاقة كسرت، وعدت من عمل الشيطان، وحدث أن بعض الجهلة أذاع بين الإخوان هذه الفكرة فقامت قيامة الإخوان منكرين على المشايخ استعمالها، وأن أقل الأحوال فيها أنها بدعة، فتصدى لهم أحد المشايخ ورد عليهم في رسالة صغيرة سنة ١٢٣٤هـ (١٩١٦م) وطبعت في مصر سنة ١٩٢٣.

فهذه القصص وأمثالها ترينا ناحية من نواحي عظمة ابن سعود، ومقدار ما كان يعانيه من الصعوبات في طريق الإصلاح، وترينا ناحية من نواحي الكفاح بين القديم والحديث.

ومن أعظم المشروعات الإصلاحية التي قام بها الملك عبدالعزيز: مشروع تحضير البادية وإقطاعهم الأراضي للسكنى والزراعة، وتعليمهم المبادئ الدينية ومكارم الأخلاق. ولما كان هذا المشوع قد شغل قسما من التاريخ النجدي الحديث؛ أحببنا أن نفرد له الفصل الآتي، مفضلين التفصيل على الإيجاز.

ولقد امتدت يد الإصلاح إلى كثير من المرافق بعد استكشاف الزيت« البترول» وكثرة إيراداته فمدت أنابيب المياه العذبة من وادي فاطمة إلى جدة، كما بنى مرزفأ حديثا ضخما لجدة ترو عليه السفن وفتحت المدارس في كثير من البلدان النائية، وأرسلت البعثات العلمية إلى مختلف البلدان وهي نهضة تبشر بخير عظيم.

ولقد توفى الملك العظيم في ٩ نوفمبر ١٩٥٣ وترك الأمانة لخير من يحافظ عليها ويرفع شأنها ويحوطها بعين رعايته نجله الأكبر جلالة الملك سعود الأول - حفظه ا - وهو في أول سنة من حكمه أبدى نشاطاً عظيماً في تفقد شئون رعيته والوقوف على ما تحتاجه من عناية.

الإخـــوان

إذا ذكر الإخـوان على حدود العراق، أو شرق الأردن، أو الكويت استولى الرعب على قلوب السكان، وهب البدو يطوون الصحـراء لائذين بالبلاد القريبة منهم يحتـمـون بجدرانهـا وأبراجـهـا. فـمن هم رسل الذعـر والهلع في بلاد العرب؟.

إن كلمة «الأخ» قد استعملت بمعنى الحليف والمعاهد أول نشأة الإسلام، فقد آخى رسول ا ﷺ بين الأوس والخزرج من الأنصار وتناسـوا مابينهم من العداء والخصومـات، وإلى هذا تشير الآية الكريمة: « واعتـصموا بحبل ا جمـيعاً ولا تفرَّقوا واذكروا نعمة ا عليكم إذ كنتم أعداء فألَّـف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً. وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها».

أما في السنوات الأخيرة: فقد أصـبحت علماً على سكان البادية الذين تركوا السكنى في الخيـام واستقروا ف ي أمـاكن معينة، وبنوا لسـكانهم بيوتاً من الطين سميـت «هجرة» إشارة إلى أنهم هجروا الحـياة القديمة المكروهة إلى حـياة أخرى محبوبة.

إن أول «هجرة» بنيت هي هجرة الأرْطَاوِيّة سنة ١٣٣٠هـ -١٩١١م، سكانها خليط من قبائ حرب ومطير، ثم الغُطغُط وسكانها مـن «عتيبة» ثم «دخنة» وأكثر سكانها من حرب، ثم «الأجْفَر» وأكثر سكانها من شَمَّر، وتبلغ الهِجَر نحو ستين هجرة، ولكن أهمها ماتقدم.

ثم أخذت الهجر تنتشر بسرعة، وأخـذت العشائر تقلد بعضها بعضا في ترك حيـاة البادية التي أصبـحت تسمى عندهم بالجاهلـية كما يسـمون الحيـاة الجديدة بالإسلام.

وقد غالى فريق كبير من عتيبة في كره الجاهلية أو حياة البادية، فرأوا أن من آية الإخلاص ودينه، وآية الإيمان الصحيح: التخلص من كل ما يشتمّ منه رائحة الجاهلية، فأخذوا يبيعون إبلهم وأغنامهم، وينقطعون في «الهجر» للعبادة وسماع السيرة النبوية، وغزوات الرسول ﷺ، وتاريخ انتشار الإسلام في جزيرة العرب، فوجدوا أن حياتهم الأولى تشبه في كثير من الوجوه حياة الجاهلية، كما أن حياتهم الأخيرة تشبه حالة الإسلام في أيامه الأولى. فعكف أكثرهم على تعلم مبادئ القراء وحفظ شيء من القرآن والحديث. غير أن هذا الانقلاب كان خطيراً وعنيفاً جداً.

لقد تشرب هؤلاء كثيراً من المبادئ والتعاليم الناقصة، حتى اعتقدوا أنها هي الدين، وماسِواها ضلالة، كما أساءوا الظن بغيرهم من حضر نجد، بل وبوَلِيَّ أمرهم الإمام عبدالعزيز.

أصبحوا يعتقدون أن لبس العمامة هي السنة، وأن العقال من البدع المنكرة، بل غالى بعضهم فجعله من لباس الكفار، ويجب مقاطعة لا بسيه. وكان كثير منهم يعتقد أن لا إسلام لمن لم يسكن الهجرة مهما كان عليه من الإسلام، وترك شرور البادية وعوائدها، فلا يبدأون غيرهم من هؤلاء بسلام، ولا يردون عليهم السلام، ولا يأكلون ذبائحهم. وذنب هؤلاء عندهم هو عدم سكنى الهجرة.

وكان من عوائد الإخوان إذا قدموا زائرين قاموا في المجد، وقالوا: السلام عليكم (يالاخوان) إخواننا يسلمون عليكم.

وكان فريق منهم يعتقد أن المشايخ مقصرون مداهنون لابن سعود، وقد كتموا الحق عنه.

وكانوا يعتقدون أن الحضر ضالون وغزو المجاورين واجب، وأنه ألقى عليهم

هذا الواجب من قبل ا . فلا يسمعون كلام أحد في منع الغزو.

ولقد نال بعضهم الإمام عبدالعزيز، فرموه بموالاة الكفار والتساهل في الدين، وأنكروا عليه تطويل الثياب والشارب ولبس العقال، إلى غير ذلك من ضروب الجهالة، وأصبحوا يحرمون كل ما لا يتفق وهواهم. وإن سريان هذه الروح المتمردة يرجع إلى هؤلاء الجهلة أنصاف المتعلمين الذين انتشروا في قرى الإ]وان باسم العلم، ولقنوهم هذه التعاليم وحببوا إليهم التعصب الذميم.

وربما كانت سنة ١٣٤٥هـ من أشد السنين في نجد، إذ كادت تقع فيها فتنة أهلية، بين الإخوان من جهة، وبين الحكومة والحضر من جهة أخرى، ولقد جرد الإمام جيشاً من طلبة العلم المتفقهين في دينهم وأرسلهم إلى الإخوان كي يصلحوا ما أفسد الأولون، كما أنه انتزع أولئك الذين بذروا بذور الجهالة والغواية، ومنعهم من السكنى في الهجر. على أن الملك عبدالعزيز- وإن نجح في ذلك كثيراً - فإنه لم يتمكن تماماً من استئصال تلك الجذور التي تمكنت من نفوسهم، ولولا أنهم يخافون سيفه، ويهابون سلطانه وسطوته لعمت الفوضى جزيرة العرب.

لقد عرفتُ البدو في حروبهم وفي حياتهم البدوية، وعرفتهم بعد ما سكنوا الهجر، وعرفت كثيراً من قادتهم في جاهليتهم ورسلامهم، فرأيت أن الدين قد غيرهم تغييراً تاماً.

كان البدوي ولا هَمَّ له إلا النهب والسلب وقطع الطريق. ثم هو يعد هذا العمل من مفاخر البادية. والويل للضعيف في البادية. وكان لسان حالهم يقول« المال مال ا ، يوم لي ويوم لك، نصبح فقراء ونمسى أغنياء، ونصبح أغنيياء ونمسى فقراء» والقوافل التجارية كانت تحت رحمة البادية، لا تمر من المنطقة إلا

بإتاوة أو مجيز.

والبدوي لم يكن أبداً مخاطراً بحياته، فإذا رأى أن النهب سيكون من ورائه خطر تركه. وكذلك إذا رأى دفاعا قوياً من خصمه تركه.

والبدوي لا يعرف قلبه الإخلاص تقريباً، شيمته الرياء والنفاق، لا تتفع معه إلا الشدة المشوبة بالعدل ، ولذا فلا يعول الأمراء كثيراً على عددهم ولا على قوتهم. وكثيراً ما كانوا وبالا على صديقهم. فإذا بدرت منه بوادر الهزيمة فإنهم يكونون أول الناهبين له. ويحتجون بأنه مادام صديقهم منهوباً، أو مأخوذاً - كما يقولون - فهم أولى به.

أما الإخوان الآن : فهم حماة الطريق، يرون حرمة التعدي على المسافر وابن السبيل، ويرون للجار والمسلم حرمته، فالمسلم حرام دمه وماله.

أصبح الإخوان لا يهابون الموت، بل يندفعون إليه اندفاعاً ، طلباً للشهادة ولقاء ا ، وأصبحت الأم حينما تودع ابنها تودعه بهذه الكلمات «جمعنا ا وإياك في الجنة» وأسبحت كلمة التشجيع على الحرب « هبت هبوب الجنة وِيْنِ آنتْ يا باغيها».

وكلماتهم عند الهجوم «إياك نعبد وإياك نستعين».

ولقد شاهدت بعض مواقعهم الحربية، فوجدتهم يقذفون بأنفسهم إلى الموت قذفاً ويتقدمون إلى أعدائهم صفاً صفاً ، ولا يفكر أحدهم في شيء إلا هزيمة العدو وقتله.

والإخوان على العموم لا تعرف قلوبهم الرحمة على الأعداء، ولا يفلت من تحت يدهم أحد. فهم رسل الموت أينما رحلوا.

قد ظهرت قوة الإخوان الحـربية في هزيمة أهل الكويت هزيمة منكرة في واقعة «خمض» سنة ١٩١٩م، ثم في حصار شـيخ الكويت في «الجهرة» سنة ١٩٢٠م، وفي إبادة جيش الشريف عبد ا في واقـعة « تَرَبَة» سنة ١٩١٩م، وفي هجومهم المتكرر على العراق والكويت وشرق الأردن.

وبالرغم من أن إمامهم كـان ينهاهم كثيراً عن هذه الغـزوات، وأنه كان دائماً يأمرهم بالرفق وعدم القتل، وبالرغم من أن علماءهم كانوا يوصونهم دائماً بعدم قتل الأسير أو المستجير، فإنهم لم يصغوا إلى أحد.

وإن من يقرأ رسـائل العلماء ف ي الإنكار علـيهم، وعلى أنصاف المتـعلمين الذين سمموا أفكارهم، يرى أن علماء نجد لم يقصروا في النصيحة، ويعلم أن ما يأتيه بعض الإخوان مما تأباه طبائع العرب . ولا تقره الشريعة الإسلامية، لا يصح أن تلقى تبعته على علماء نجد أو الملك عبدالعزيز.

وللإخوان قصص طريفة تدل على بساطتهم وشدة تأثرهم بالدين:

جاء أحد الإخوان إلى أحد المشايخ وسأله عن النفاق؟ فأخبره بحده الشرعي. ثم سأله عـن الخوف في الحرب؟ فـقال له العـالم : إذا لم تعط العدو ظهـرك فلا يسمى هذا فراراً أو نفـاقاً، فقال : لا ، إن شاء ا أعـطى العدو ظهري. إن هذا كفر ياشـيخ. لا، إن في قلبي نفاقاً. إني حينمـاكنت أهجم وجدت ف ي نفسي شيـئاً من التردد بسـبب أزيز الرصاص، لا بد أن يكون النفـاق في جنبي. أخرج النفاق بعـصاك أيا الأخ. ولكن الشيخ أفهـمه بصعـوبة أن هذا ليس من النفاق أو الكفر أو الهزيمة.

وجاء رجل آخر حاملاً صرة فيها نقود ذهبية وجدها بعد معركة «تربة»، فسأل الشيخ: هل هي حـلال له؟ فقال الشـيخ: إنها من الغنيمـة. ولا يحل لك إلا ما

سيصيبك بعد القسمة فسلمها من فوره لمتولي الغنيمة، ثم قال : لا وا لا أستحلها.

فأين هذا من خلق البادية؟

إذا وجدك الأخ في الطريق ووجد شاربك طويلاً فإنه يدعوك إلى السنة، ثم يضع يده على شاربك ويقص الزائد. أما إذا كنت ماراً بالهجرة فإن العملية تم قسراً وزجراً لا بطريق النصح واللطف.

وكذلك إذا وجدوا الثوب زائداً فإن المقص يعمل عمله في الزائء تنفيذاً للحديث «ما تحت الكعبين في النار» وبالرغم مما يأتيه الإخوان من الخطأ والخطل، وتجاوزهم حدودهم إزاء الحكومة، فإن الملك ابن السعود كان يغضى عن غلوائهم، ويحتمل نقدهم بحلم وصبر، قلما عرف عن غيره من ملوك العرب. وكان دائما يقول : إن الإخوان يجب احتمالهم، ومهما فعلوا فحالتهم الآن خير من حالتهم الأولى. وأما هذه العصبية والشدة: فالزمن كفيل بتخفيف حدتها.

أما شدة الإخوان في مكة - أول دخولهم لها - فحدث عنها ولاحرج، فلم تكن هنالك أي هيبة للحكومة؛ فكل ما يعتقده الأخ منكراً يزيله بنفسه، ببندقيته أو بعصاه أوبيده.

وكثيراً ما كان الملك ابن السعود ينزل على رأيهم اتقاء لفتنة قد تحدث. كما أنه كثيراً ما كان يقبض عليهم بيد من حديد إذا رأى أن المسايرة قد تضعف سلطانه في جزيرة العرب.

لأول مرة شاهد الملك ابن السعود التليفون في مكة، ورأى الفائدة العظيمة التي يؤديها التليفون في إنجاز الأعمال وسرعة المواصلات، ولما نقل معسكره من الزاهر (الشهداء بقرب مكة) إلى حدَّاء أراد أن يمد سلكا تليفونياً بين مكة وبين

حدَّاء، وسلكا آخر بين الرغامة وبين حدَّاء ، حتى يكون على اتصال تام بين مكة ومقره وفي ميدان الحرب. وكنا نقطع المسافة بين مكة وبين معسكره الخاص في ٤ ساعات ذهاباً، ومثلها إياباً؛ بالبغال أو الإبل السريعة، وكانت الخيل تقطع المسافة أيضاً في مثل هذه المدة من الرغامة إلى حدَّاء، ولكنه عدل أخيراً عن هذه الفكرة. لأن إنشاء التليفون قد يهيج ثائرة الإخوان، فأرجأ هذه المسألة. وكثيراً ما كان الإخوان يقطعون أسلاك التليفون لأنه منكر يجب إزالته. وكثيراً ما كانوا يتعمدون قطع الأسلاك الموصلة إلى قصر ابن السعود أثناء وجوده في مكة. كل هذا كان يتحمله على مضض معتمداً على الزمن. وحدث مرة أن أحد الإخوان ضرب خادمً للملك يركب عجلة (بسكليت)وتسمى بلغة نجد (عربة الشيطان) أو (حصان إبليس بدعوى أنها بدعة؛ وأنها تسير بقوة السحر وعمل الشيطان، بديل أن الراكب إذا نزل لم تقف، ولكن الملك أدب هذا المعتدي أدباً أرجعه إلى رشده.

وفي سنة ١٩٢٦م اضطر جلالة الملك أن ينزل على رأيهم في إيقاف تلغراف المدينة اللاسلكي، وهدم بعض المساجد المقامة على القبور؛ لزنه لم يكن يسعه غير ذلك، والحكمة كانت تقضي بذلك، فهو لا يقف أمام التيار ، بل يتركه يسير بطبيعته، ثم بعد أن تهدأ العاصفة يعمل فكره لضرب خصومه في الظروف المناسبة، وعند سنوح الفرص الملائمة.

وكان أشد الناس على الإخوان: المرحوم الأمير عبدا بن جاوي حاكم منطقة الاحساء، فكثيراً ما سمعته يقرع رؤساء بني خالد وآل مرة والعجمان على شدتهم وغلوهم، ويقول : إن حالتهم الأولى - على ما فيها من الشرور- خير من حالتهم هذه، وإن الدين ليس من العمائم. وهو لا يسمح لأحد منهم كائنا من كان أن تمتد يده إلى أحد من أهل الاحساء، وإذا تجرأ أحد فجزاؤه أصرم العقوبات، ولذلك كانوا إذا دخلوا الاحساء للمميرة نزعوا عمائمهم وقضوا

حوائجهم في هدوء وسكون. ولقد سمعت المرحوم الأمير عبدا بن جلوي وغيره من آل سعود وكبار آل الشيخ ينصحون الملك عبدالعزيز بالتبصر بوجوب الحد من غلو الإخوان وخروجهم عن حدودهم، ولكن الملك كان داذماً يقول : هؤلاء أولادي. وواجبي احتمالهم والتجاوز عن سيئاتهم وخطئهم، وبذل النصح لهم، وإني لا أنسى أعمالهم وأعتقد أنهم حسنوا النية وسينكشف الحق لهم[1].

أول مؤتمر للإخوان

في عيد الفطر سنة ١٣٤٣هـ - وهو أول عيد لنا في مكة - زرت الشريف خالد ابن لؤى أنا والدكتور عبدا الدملوجي. وكان لديه فيصل الدويش وجماعة من الإخوان اجتمعوا هنالك بعد صلاة العيد للمعايدة على بعضهم، فخطب الحضور فيصل الدويش، وهذه عادة من عادات الإخوان. لاتخلو مجالسهم من نصيحة أو عظة، فقال مخاطباً خالداً وجماعته.

نحمد الله يا خالد: ويا « الإخوان» على نعمته، فقد دخلنا بلد ا الحرام وطردنا الشريف من هذا البيت. إننا جند ا وخدم لدينه، لا نريد إلا أن تكون كلمة ا هي العليا ودينه هو الظاهر، ولانريد إلا رفع المظالم وإزالة البدع والمنكرات.

وإن هذا السيف وهذا الجند سيعمل هذا العمل في كل من يسير في طريق الشريف ويعمل عمله، فأمن الإخوان كلهم على كلامه.

فكان هذا في الحقيقة أول إنذار من أحد قادة الإخوان، ولم تمض سنة على هذه الخطبة حتى سمعنا أن هنالك مؤتمراً يعقد في الأرطاوية، حضره رؤساء

(١) ولقد نحا منحا أبيه الأمير سعود بن جلوي الذي خلف في إمارة الأحساء أباه بعد موته.

الإخوان من مطير وعتيبة والعجمان، تعاهدوا فيه على نصرة دين ا والجهاد في سبيله، ثم أنكروا صراحة على الملك عبدالعزيز:

أولا: إرسال ولده سعود إلى مصر.

ثانياً: إرسال ولده فيصل إلى لندن بلد الشرك.

ثالثاً: استخدام السيارات والتلغرافات والتليفونات.

رابعاً: الضرائب الموجودة في الحجاز ونجد.

خامساً: الاحتجاج على إذنه لعشائر العراق وشرق الأردن بالرعي في أراضي المسلمين.

سادساً: الاحتجاج على منع المتاجرة مع الكويت؛ لأن أهل الكويت: إن كانوا كفاراً حوربوا، وإن كانوا مسلمين فلماذا المقاطعة؟

سابعاً: النظر في شيعة الإحساء والقطيف، وإجبارهم على الدخول في دين أهل السنة والجماعة.

لقد عجل الملك عبد العزيز بالرجوع من الحجاز إلى نجد عن طريق المدينة ليعالج الحالة بحكمته، فدعا زعماء الإخوان إلى مؤتمر أمر بعقده في الرياض في ٢٥ رجب سنة ١٣٤٥هـ - يناير سنة ١٩٢٧م، وقد لبى الدعوة جميع زعماء الإخوان ما عدا سلطان بن بجاد. وفي هذا الاجتماع شرح الملك عبدالعزيز موقفه شرحاً وافياً، فوصف نفسه بأنه خادم الشريعة يحافظ عليها أتم المحافظة، وأنه هو الذي يعهدونه من قبل لم يتغير، كما يتوهم بعض الناس، ولا يزال ساهراً على مصالح العرب والمسلمين.

وقد انتهى هذا الاجتماع بالفتوى المشهورة التي أصدرها علماء نجد في صدد

المسائل التي كانت سبب تشويش الإخوان، وأعلن الحاضرون تعلقهم بإمامهم وملكهم، وبايعوه بالملكية على نجد، فأصبح لقبه الرسمي « ملك الحجاز ونجد وملحقاتها» وفيما يلي نص الفتوى :

من محمد بن عبداللطيف، وسعد بن عَتِق، وسليمان بن سَحْمان وعبدا بن عبدالعزيز العتيقي، وعبدا العنقري، وعمر بن سليم، وصالح بن عبدالعزيز، وعبدالله بن حسن، وعبدا بن عبداللطيف، وعمر بن عبداللطيف، ومحمد ابن إبراهيم، ومحمد بن عبدا ، وعبدا بن زاحم، ومحمد بن عثمان الشاوي، وعبدالعزيز العنقري، إلى من يراه من إخواننا المسلمين. سلك ا بنا وبهم الطريق المستقيم. وجنبنا وإياهم طريق أهل الجحيم، آمين.

سلام عليكم ورحمة ا وبركاته، أما بعد: فقد ورد علينا من الإمام - له ا تعالى - سؤال من بعض الإخوان عن مسائل يطلب منا الجواب عنها، فأجبناه بما نصه :

أما مسأل البرقى[1] فهو أمر حادث في آخر هذا الزمان. ولانعلم حقيقته ولا رأينا فيه كلاماً لأحد من أهل العلم، فتوقفنا في مسألته، ولانقول على ا ورسوله بغير علم، والجزم والإباحة والتحريم يحتاج إلى الوقوف على حقيقته. وأما مسجد حمزة وأبي رشيد فأفتينا الإمام- وفقه ا - بهدمها على الفور. وأما القوانين: فإن كان موجوداً منها شيء في الحجاز فيزال فوراً. ولا يحكم إلى بالشرع المطهر. وأما دخول الحاج المصري بالسلاح والقوة في بلد ا الحرام: فأفتينا الإما بمنعهم من الدخول بالسلاح والقوة، ومن إظهارهم الشرك وجميع المنكرات. وأما المحمل: فأفتينا بمنعه من دخول المسجد الحرام، ومن تمكين أحد أن يتمسح به أو يقبله، وما يفعله أهله من الملاهي والمنكرات يمنعون منها. وأما

(١) التلغراف اللاسلكي.

منعه عن مكة بالكلية: فإن أمكن بلا مفسدة تعين، وإلا فاحتمال أحد المفسدتين لدفع أعلاهما سائغ شرعاً وأما الرافضة: أُفتينا الإمام أن يلزمهم البيعة على الإسلام، وبمنعهم من إظهار شعائر دينهم الباطل، وعلى الإمام أيضاً أن يلزم نائبه على الاحساء أن يحضرهم عند الشيخ ابن بشر ، ويبايعوه على دين ا ورسوله، ترك دعا ءالصالحين من أهل البيت وغيرهم ، وعلى ترك سائر البدع من اجتماعهم على مآثمهم وغيرها مما يقيمون به شعائر مذهبهم الباطل، ويمنعون من زيارة المشاهد ، كذلك يلزمون بالاجتماع على الصلوات الخمس هم وغيرهم في المساجد. ويرتب فيهم أئمة ومؤذنون ونواب من أهل السنة. ويلزمون بتعليم ثلاثة الأصول وكذلك إن كان فهم محالّ مبنيّة لإقامة البدع تهدم، ويمنعون من إقامة البدع في المساجد وغيرها. ومن أبَى قبول ما ذكر ينفى من بلاد المسلمين. وأما الرافضة من أهل القطيف فيلزم الإمام – أيده ا – الشيخ ابن بشر أن يسافر إليهم ويلزمهم بما ذكرنا. وأما البوادي والقرى التي دخلت في ولاية المسلمين: فأفتينا الإمام أن يبعث لهم دعاة ومعلمين. ويلزم نوابه من الأمراء في كل ناحية بمساعدة المذكورين على إلزامهم بشرائع الإسلام، ومنعهم من المحرمات. وأما رافضة العراق الذين انتشروا وخالطوا بادية المسلمين: فأفتينا الرمام بكفهم عن الدخول في مراعي المسلمين وأرضهم. وأما المكوس: فأفتينا أنها من المحرمات الظاهرة، فإن تركها فهو الواجب عليه، وإن امتنع فلا يجوز شق عصا طاعة المسلمين والخروج عن طاعته من أجلها. وأما الجهاد: فهو محول إلى نظر الإمام، وعليه أن يراعي ما هو الأصلح للإسلام والمسلمين على حسب ما تقتضيه الشريعة الغراء. ونسأل ا لنا وله ولهم ولكافة المسلمين التوفيق والهداية وصلى ا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[حرر في ٨ شعبان سنة ١٣٤٥هـ].

إذا هذه الفتوى اضطر الملك إلى عدم قبول المحمل، كما اضطر إلى هدم مسجد حمزة، وتحطيم التلغراف اللاسلكي. فعمل بذلك على تلافي الفتنة أو تأجل وقتها.

لم يرض الدويش - وهو أول رأ سمدبر لثورة الإخوان- أن يحبط ابن سعود عمله وتدبيره فوضعه أما مشكلة جيديدة. وذلك أنه أرسل قوة صغيرة في أكتوبر سنة ١٩٢٧م قتلت عمال مخفر بُصَيّة على الحدود العراقية النجدي، وقتلت بضعة أنفار من الشرطة كانوا مع العمال، فأدى هذا العمل إلى إنذار السلطات البريطانية العراق للعظائر التي على الحدد بالابتعاد إلى داخل نجد، ثم هجوم الطيارات البريطانية واشتباكها مع العشائر النجدية نحو ثلاثة أشهر، فرأت الحكومة البريطانية - بعد مفاوضات مع جلالة الملك عبدالعزيز- إيفاد السير جلبرت كلايتون لحل المشاكل القائمة. وقد رأى جلالة الملك أن يعقد مؤتمر بُرَيْدَة في أبريل سنة ١٩٢٨م لتهدئة ثائرة الرخوان وإفهامهم أنه يشاركهم الرأي في سخطهم على بناء المخافر على الحدود، ولكنه يرى الأفضل حسم المشكل بطريق المفاوضات وأخبرهم أنه مسافر إلى جدة للاجتماع بالمفاوض البريطاني، ووعدهم بالاجتماع معهم في الرياض بعد رجوعه من الحجاز، ومفاوضة الحكومة البريطانية، لإيقافهم على جلية الأمر، غير أن المفاوضات البريطانية لم تسفر عن قبول وجهة النظر النجدي وأصرت هي والحكومة العراقية على موقفهما في بنا المخافر.

رجع الملك عبدالعزيز من الحجاز إلى الرياض. فوصلها في ديسمبر سنة ١٩٢٨م وأمر بعقد المؤتمر النجدي- أو الجمعية العمومية- كما سمتها أم الرى في ١٠ جمادي الأولى سنة ١٣٤٧هـ -١٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨م.

اجتمعت الجمعية العمومية في أحد أروقة القصر الداخلية. وكان عدد الحاضرين نحو ٨٠٠ من علماء ورؤساء حضر وبدو ولم يحضر الدويش ولا ابن بجاد هذا المؤتمر. وقد افتتح الملك المؤتمر بخطبة شرح فيها تاريخه في نجد من بدأ استرداده الرياض إلى الوقت الحاضر، وأعماله في توحيد الجزيرة، وتأمين الطريق، والإخاء بين العشائر. وبعد أن انتهى من خطبته عرض على الحاضرين تنازله عن العرش، ووجوب اختيار غيره من آل سعود، وأنه يعاهدهم أنه سيساعد من يختارونه. وأخبرهم أيضاً بنتيجة المفاوضات البريطانية وتمسك الإنجليز بالمباني، ولكنه ألقى على الدويش مسئولية بناء المخافر بسبب تعديه على الحدود العراقية من وقت آخر.

أما مسألة التنازل عن العرش : فلم تقبل بالطبع، لأنهم يعلمون أن ابن سعود لم يصل إلى ما وصل إليه إلا بمعونة ا ثم بسيفه، ولذا فقد بايعوه مرة أخرى على السمع والطاعة والسير وراءه. وفي الواقع لم يكن الملك يرمي في هذا المؤتمر إلا إلى اجتماع كلمة النجديين وإثارة حميتهم ضد الإخوان المتطرفين. وهذه الناحخية قد نجح فيها نجاحاً تاماً .

أما الإخوان المنطرفون الذين التفوا حول ابن بجاد وفيصل الدويش خِثِيلين :

فإنهم لم يأبهوا لهذا المؤتمر. وقد أذاعو في الهُجَر أنهم قائمون بأمر الدين وإقامة الشريعة التي كاد يهدمها ابن سعود، وأن ابن سعود طالب ملك، وموال للكفار، وشريك لهم في جميع الأعمال، وأتبعوا هذا التهديد بالإغارة على حدود الكويت والعراق أحياناً، ونهب القوافل النجدية أيضاً.

وقد أثبت حوادث ثورة الإخوان أنه لا يزال للعصبية شأن كبير في جزيرة العرب. فإن كثيراً من الإخوان الذين حضروا الجمعية العمومية من مطير

والعجمان وعتيبة كانوا تحت لواء الدويش وابن خثيلين في الثورة بالرغم من مبايعتهم وعهودهم التي قطعوها للملك ابن السعود، ثم أخذوا يتعدون على السابلة بدون أن يفرقوا بين أهل نجد وغيرهم، وأخذوا يعملون السيف في رقاب من توقعه الأقدار تحت أيديهم لأنهم كفرة.

لم يستطع الملك ابن السعود صبراً على هذه الحالة التي أصبحت تهدد البنيان الذي أسسه في ثلاثين سنة. فاستحث أهل نجد عليهم، وكلهم ناقم عليهم، بل أكثرهم كان ناقداً لسياسة ابن السعود في ملاينتهم وإرخاء الحبل لهم.

اجتمع أهل نجد حول راية ابن السعود في القصيم . كما اجتمع حوله كثير من الإخوان- حرب، وقحطان، وبعض من مطير وعتيبة - الناقمين على الدويش وابن حميد. فلما أن علم الإخوان بوصول ابن سعود إلى بريدة اجتمعوا كلهم بعد ماكانوا مشتتين، وصمموا على مهاجمة ابن سعود ، وهم واثقون من الفوز تمام الثقة. ولقد كان مع ابن سعود سلاح آخر لا يقل عن سلاح الجند. وهم العلماء، ولكن العاصين لم يعودوا يثقون حتى بالعلماء.

استمرت المفاوضات بين ابن السعود وبين الإخوان مدة، والملك يقرب بجنوده منهم حتى تقارب الجليشان في السِّبْلة قرب الزِّلْفِى .

ابن بجاد يرسل رسولا إلى ابن سعود

ثم أرسل ابن بجاد رسولا إلى ابن سعود في معسكره، فدخل الرسول يحمل كتاباً إلى ابن سعود، فلم يسلم هذا الرسول على الملك لأنه مبتدع في زعمهم. أنهم لكبيرة ، وهل يصبر ابن السعود على هذه الإهانة؟

- من أنت ؟ ألست ماجد بن خثيلة؟ وأخذ يطرد عليه تاريخه. ويقرعه، ويقول: أتدخل علىّ ولاتسلم؟ اذهب من فورك إلى من أرسلك. وأخبره أننا

قادون للهجوم عليهم غداً ، فإذا أرادو أن يحقنوا دماءهم فليستسلموا بلا قيد ولا شرط، والشريعة هي الحكم بيني وبينهم، وهؤلا ءالعلماء حاضرون قم واذهب إلى رفيقك.

وقد أخبرني ما جد - وكان كالوزير لابن بجاد- بأنه أشار عليه بتقديم خضوعه إلى إمامه قبل أن يحم القضاء، لزن ابن سعود ليس هو الرجل اللين الذي كانوا يعهدونه، ولكن الدويش طلب منهم أن يذهب هو بنفسه ليرى جلية الأمر. وأخبرهم أنه إذا لم يرجع إليهم مساء يكون ابن عود قد اعتقله.

وصل الدويش إلى المعسكر. ثم أخذ يتملق الملك ومن معه. وأظهر استعداده للتسليم وأنه ليس على رأي ابن حميد، ، وأنه سيبيت عندهم، فقال له الملك: قم فنم عند قومك وموعدكم غداً بعد شروق الشمس، وإن كنت صادقاً فتنح عن الجماعة، وإن لم تكن صادقاً فسترى وخامة العاقبة، وا ولي الصابرين.

- ماذا رأيت (يا الدويش؟) سؤال وجه إليه من أركان حرب الإخوان.

- ما ذا رأيت ! رأيت حضريا ترتعد فرائصه من الخوف، وليس حوله إلا طبابيخ (طهاة) لا يعرفون إلا نلو على الدواشح (المراتب ابشروا يا إخوان. لقد وجدت لديهم حَلالا كصيراً وأموالاً عظيمة، فأبشروا بالكسب والغنيمة وسنقهر هذا الطاغوت غداً ونستولي على ماله. هذه رواية بعض الإخوان الذين كانوا مع العصاة.

وفي اليوم الثاني ٣٠ مارس سنة ١٩٢٩م هاجمت جيوش الملك ابن السعود جنود الإخوان، وحملت عليهم حملة عنفة لم يقدروا على ردها، ولم ينتصف النهار حتى ولى الإخوان الأدبار، فر ابن بجاد من المعركة. وحمل الدويش جريحاً إلى الملك يحوط به بناته وزوجته وهن يبكين يستشفعن فيه، فتأثر الملك

من هذا المنظر وعفا عن الذويش الذ يعاه على السمع والطاعة بعد ذلك ، وبعد ثلاثة أيام استسلم ابن بجاد في شَفْوَا، فأمر الملك بسجنه. لأنه كان خطراً على الأمن، ولا يأمن شره من الانتقاض، ثم أمر الملك ولده وأخاه بتأديب العصاة حسب درجاتهم، كما أمره ابن جلوي بتأديب العجمان.

الثورة تعود مرة أخري

رجع الملك إلى الحجاز بعد أن قهر الإخوان غير أن الضربة لم تكن فاصلة. فإن الدويش الذي كان يظن أنه سيموت متأثراً من جراحة قد برئ، وبدلا من أن يعود إلى صوابه ويستغفر ا مما ارتكب، ظن أن ابن سعود قد يقبض عليه ويلقيه في غياهب السجن مثل ابن بجاد وجماعته. فترك الأرطاوية واستقر بين الكويت والاحساء، وانضم إليه العجمان بعد أن قُتل زعيمهم بيد فهد بن جلوي، وبعد أن قتلوا هم أيضاً فَهداً انتقاماً لزعيمهم، وأخذوا يعبثون في الأرض فساداً ، تارة جنوباً وتارة شمالاً، ولم يقتصر أمرهم على النهب والسلب، بل تعداه إلى قتل الشيب والنساء والأطفال.

عادت الثورة أشد مما كانت، فعتيبة انتشرت بين نجد والحجاز، وفصلوا الأقليمين بعضهما عن بعض، وكادت المواصلات تنقطع بين مكة والرياض والخليج العربي غير أن أهل نجد - لاسيما الحاضرة- لاتحمل في قلبها إلا الإخلاص والولاء لإمامها ومليكها لتواضعه وكرمه وسهره على مصالحهم ، وتفانيه في الدفاع عنهم، وقد كون منهم أمة لها نصيبها من الحياة تحت الشمس.

وهل كانوا ينقمون عليه إلا تساهله مع الإخوان، وغضه الطرف عن مساوئهم؟

إن الفرصة قد سنحت لتقليم أظافر الفوضى ودعاتها.

فيصل الدويش على ظهر الباخرة البريطانية
بعد استسلامه للبرطانيين

أخذ الملك عبدالعزيز يعالج الموقف بما عـرف عنه من سعة الحيلة وبعد النظر، فقوى الحاميات في الإحسـاء والقطيف وحايل، ثم أخذ يجمع الجند فأرسل قوة كبيرة من الرياض يسندها القسم الموالي من عتيبـة. وضرب عتيبة. ضربة لا تقوم لها قـائمة بعـدها، وصادر إبلهم وسـلاحهم، وترك لـهم الضروري لحيـاتهم، والتقى ابن مسـاعد بعبدالعـزيز بن فيصل الدويش في زم الرَّضمـة، فوقعت بين الفريقين موقعـة دامية قتل فيها ولد الدويش، ولم يفلت من العصـاة سوى بضعة أنفار. وهؤلاء كانوا أفضل رجال مطير الحربيين، ففتّت هاتان الضربتان من عضد الدويش وهزته هزاًّ عنيفاً ، وأيقن أنه مقـضى عليه لا محالة، ولكن كيف يكون المصير؟

الدويش يطلب الصلح

أخـذت الرسل تغدو بـين الرياض وبين الدويش لطلب الأمـان، ولكن الملك أصر على التسليم بلا قيد ولا شرط، ثم الخضوع لحكم الشريعة، وأنه يعد بالعفو عن حياة الدويش فقط.

خـرج الملك يقود الـقوات بنفـسـه مسـتـعيناً هذه المرة بـالسيـارات والمدافع الرشاشة. وفي ٣٠ ديسمبـر سنة ١٩٢٩م هجم على الدويش مُحْسِن الفِرْم (من حرب) من الإخوان، ومعه عربان العراق، ابن طُوَالة وابن سُوَيط، وهؤلاء كانوا موتورين من الدويش، فانتهزوا الفرصة السانحـة للانتقام قرب الحفر. ونهبوهم وأشـعلوا النار في خيـمـة الدويش، وهؤلاء لم يكن لهم علم بوجـود الملك ابن السعود قرب آلصَافة[1].

وكان الدويش - حتى تلك الساعة- يكذب بوجـود ابن السعود في آلصافة،

(١) اسم لماء.

ويقول : إنه يستحيل أن يقدم ابن سعود لأن. نجداً مضحْل وليس هنالك ما ينقل عليه ابن سعود قوته. ومع أنى أنا الذ يأذعت الخير إذ كنت بالكويت أمثل ابن السعود لدى السلطات الإنجليزية، ومع أن الخبر وصل إلينا بسيارات خاصة، فإن الدويش كذب هذه الأخبار حتى لا ينفض من حوله العشائر والطامعون في النهب والسلب، ولكن بالرغم من تكذيب الدويش هذه الأخبار، فإن الأخبار انتشرت في جميع القبائل المشتركة معه في العصيان وأيقنوا أن ليس في طاقتهم المقاومة، فتفرقوا من حول الدويش كما لجأ بعضهم إلى الحدود العراقية، وفر بعضهم إلى نجد، واستسلم الدويش وبعض رؤساء مطير والعجمان إلى السلطات الإنجليزية التي كانت بالجهرة في ٩ يناير سنة ١٩٣٠م.

مؤتمر خَبَارى وَاضْحةَ[١]

كانت المفاوضات منذ سنة تقريباً بين الملك ابن السعود والحكومة البريطانية بخصوص العصاة، وطلب تسليمهم إذا لجأوا إلى حدود العراق والكويت، وها هم الرخوان قد استسلموا الآن.

أوفدت الحكومة البريطانية في ١٩ يناير سنة ١٩٣٠م الكولوتيل بيسكو رئيس قناصل خليج فارس يساعده الكولونيل ديكسون قنصل الكويت، وفي عشرين منه سافرتُ على الطيارة فكتوريا مع البعثة إلى خَبَارى واضْحة في جنوبي الكويت حيث عقد المؤمر. واستمر المؤتمر منعقداً نحو أسبوع، انتهى بموافقة الحكومة البريطانية على تليم الدويش ورفقائه على أن يبقى الملك على حياتهم، وعلى أن يتعهد بتسليم المنهوبات التي نهبوها من أهل الكويت والعراق.

وفي يوم ٢٨ يناير وصل الكولونيل ديكسون وقائد البارجة الحربية في طيارة

(١) اسم مكان.

إنجليزية ومع الدويش ورفقاؤه المعتقلون، فاستقبلتهم بالنسابة عن جلالة الملك، ثم أقلتهم السيارات إلى خيمة جلالة الملك.

الدويش في حضرة ابن سعود

وصل الدويش إلى خيمة جلالة الملك بعد أن اخترق المعسكر، ولم يسمع اللعنات التي كانت تصبُّ عليه بسبب ضجيج حركة السيارة. دخلنا خيمة جلالة الملك فقدمت قائد الطيارة إلى جلالته، ثم الكولونيل ديكسون بالنسابة عن حكومة بريطانيا، وأنهم قدموا ليسلموا الدويش ورفقاءه إلى جلالة الملك، فشكرهم وشكر الحكومة البريطانية على صداقتها ومودتها، وأنها في كل يوم تقيم له برهاناً جديداً على مودتها الوطيدة . . . . . ثم انصرفوا.

لقد رأيت الدويش هذا اليوم، ورأيته مراراً يزور الملك في الرياض، فما أعظم الفرق بين الحالتين! كان الدويش حينما يقدم على الرياض يصحبه نحو ١٥٠ رجلاً مسلحاً ، يدخلها كقائد كبير؛ وكرجل عظيم له منزلة عظمى في نفوس أهل الرياض وعلماذها وملك نجد، إذا جلس لا يجلس إلا بجوار ابن سعود، يعتبره الملك كصديق قديم وقائد من قواده العظام. أما غطرسة الدويش وجفاؤه وترفعه عن السلام على أي مخلوق يضمه القصر- ماعدا العلماء طبعاً- فحدث عنها ولا حرج، وكان كل من يعرف الدويش في الجاهلية، ويعرف أخلاقه الشخصية، يجزم بأنه منافق في دينه وأن ما يظهره من الشدة والغاو مصطنع أما إذا استأذن الدويش الملك في الرجوع إلى الأرطاوية فإن لاقائمة التي اعتاد تقديمها الملك تبتدئ من حبال الآبار ونعاله إلى السلاح والجواري وما بين ذلك من ملابس له ولأولاده وزوجاته والطيب والعود، وكل قائد من قواد الإخوان يطلب هذه الطلبات، ولكن قائمته تكون محلا للرفض أو التحرير ، أما

في اجتماع «خبارى واضحة» من اليمين : قائد الطيران في العراق، الملك عبدالعزيز بن سعود، الكولونيل بيسكو رئيس الوفد البريطاني

قائمة الدويش فلا يدخلها أي تحوير أوتعديل .

اليوم يقف الدويش ذليلا أمام الملك ابن سعود وأمام قواد الجيش، وكلهم كانوا بالأمس دونه منزلة.

ابن السعود بخاطب الدويش

إنك تعلم يا فيصل ما عملت معك في الماضي، ما قصرت في شيء نحوكم، لقد كنت في حرب دائمة مع أه لنجد من أجلكم، فهل هذا جزائي منكم؟ هل كنتم تريدون الملك؟ لقد كنتم كلكم ملوكا في الجهات التي كنتم فيها، من منكم له الفضل عليّ؟ الفضل وحده. من منكم لم آخذه بسيفي؟ ليس منكم إلا من قتلت أباه أوأخاه، ولم أخضعكم إلا با ثم بالسيف. قد كنت أنفذ رغائبكم. فكنت أشقى لأجلكم، وأواصل الليل بالنهار لراحتكم وسعادتكم. ألا تخاف ا حينما تكتب لجُلُوب[1] أنك تريد الهجرة للعراق، وأنك تحب أن تكون تابعاً له؟ فهل تظن أنك كنت ستكون في منزلة أعلى من منزلتك التي كنت عندي فيها؟ .

الدويش يتكلم

– يعلم ا يا عبد العزيز أنك لم تقصر معنا، وقد فعلت كل ما يبيض وجهك، وقد قابلنا معروفك بالإساءة، لقد فررنا من وجهك إلى الكفار. فحملونا إليك في طيارة من طياراتهم، ويكفي ما أشعر به من الهوان والصغار أمام الإخوان بعد ما كنت عزيزاً محترماً . قاتبل ا الشيطان! لقد أغرانا وزين لنا سوء أعمالنا، فأوصلنا إلى ما أصبحنا فيها الآن! .

فأمر الملك أن ينقل الدويش وزملاؤه إلى خيمة قريبة منه وأحاطها بالحرس،

(١) جلوب: المتفش الإداري على الحدود، وهو قائد الجيش الأردني سابقاً.

وبد ثلاثة أيام نقلوا إلى الرياض في سيارات حيث اعتقلوا فيها. ويصح أن تعتبر هذه المعركة من المعارك الفاصلة بين الفوضى والنظام، ونصراً للتقدم عل يالرجعية؛ ولاتسل عن سرور أهل نجد والحجاز . فهؤلاء الشيء الكثير من تعديهم وإساءتهم وغلوهم.

أما الملك عبدالعزيز: فإن سروره قد عبر عنه بجملتين في خيمته بعد تسليم الدويش: «من اليوم سَنَحْيا حياة جديدة».

نعم إن الملك ابن السعود قد حيى حياة جديدة: فقط ربط بلاده بالتلغرافات اللاسلكية، وربط مكة والرياض بالتلفون اللاسلكي. ولم يعد للإخوان ذلك السلطان القاهر، وأصبح شأنهم شأن غيرهم من الرعية.

ولقد عاقت حركة الإخوان الأخيرة تقدم المشروع الأصلي، وهو تحضير البادية ، فإننا لم نسمع منذ سنة ١٩٣٠م أن قبيلة من القبائ لرغبت في سكنى جهة من الجهات، على أن حركة وعظ البادية وإرشادهم إلى مبادىء الدين ومكارم الأخلاق لاتزال سائرة في طريقها، وبذلك يعمل الملك عبدالعزيزلاستئصال شرور البادية بالسيف من جهة ، والعلم من جهة أخرى .

وبالجملة فإن حركة الإصلاح الموجودة الآن في جزيرة العرب هي غرس يد هذا الرجل الفذ الذي كان - رحمه ا - يرعاها برعايته وعناياته حسب موارد بلاده المادية، وحسب استعداد أمته وشعبه لقبول الإصلاح.

ولا نشك أن خلفه جلالة الملك سعود يحذو حذو أبيه في خططه الإصلاحية. وإن الظروف المواتية للملك سعود مساعدة له أكثر مما كانت في عهد والده رحمه ا . فقد مهد والده الطريق. وأزال كثيرا من العقبات والصعوبات التي كانت تعترض طريق الإصلاح. وسيجعل ا نجاح جلالة سعود بذلك أوفر، وتتقدم

البلاد إلى الحياة العلمية لآمنة أسرع إن شاء ا .

مولد جماعة الأمر بالمعروف

بعد دخول الإخوان النجديين مكة سلماً سنة ١٣٤٣هـ -١٩٢٤م اختاروا الشريف خالد بن لؤى أميراً (حكاماً) على مكة، وقد أقر السلطان عبدالعزيز هذا الاختيار فبقى خالد أميراً على مكة نحو سنة، والإخوان النجديون قوم من البدو تركوا حياة البادية ووقفوا أنفسهم على الجهاد في سبيل ا وإعلاء كلمته ولكن البدوي بطبعه لا يعرف النظام ولا الحياة المدنية ولا حد لطمعه.

لقد باع الإخوان قصور الأشراف ودور الحكومة بأبخس الأثمان طمعاً في ثمنها وقد أبطل السلطان عبدالعزيز هذه البيوع بعد دخوله مكة.

لقد اختارني عظمته نائبا عنه في إدارة شئون المدينة أو بعبارة أخرى للحد من غلواء الإخوان. ولذا فقد كان الخلاف دائما بيني وبين الشريف خالد لا ختلاف عقليتنا ووجهات نظرنا. كنت أرى أن أول واجب يجب عليّ القيام به هو إدخال الطمأنينة على نفوس الأهالي وإحياء روح الأمل في مستقبل زاهر لموطن الوحي ومبعث الهداية والنور المحمدي. أما الشريف خالد فقد كان يسعى إلى مصادرة أموال الفارين إلى جدة من الأهالي، وكنت أقف دائماً في سبيله لأن الفارين إلى جدة إنما فروا بأرواحهم بعد مأساة الطائف، وكان عظمة السلطان بالرغم من اشتغاله بقيادة الجيش وتضييق الخناق على جدة كان كثيراً ما يؤيد وجهة نظري وكان دائما يوصى الشريف خالد بالرفق والأناة والرجوع إليه فيما تختلف عليه من أمور الإدارة.

كان الإخوان النجديون قساة في معاملتهم لأهل مكة. كان كل فرد منهم يعتبر نفسه حاكما فيما يعتقد أن أمراً من أوامر ا قد انتهك أو معصية من

المعاصي قد ارتكبت فكانت العصا تعمل عملها باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لم يكن للإخوان سلطان في نجد وعلى الأخص الإحساء، فقد كانوا يخشون سلطان المرحوم الأمير عبدا بن جلوي فكان لا يسمنح لأحد منهم أن يعتدي على سكان الإحساء باسم الأمر بالمعروف.

نعم كانت تحدث بينهم وبين سكان نجد من الحضر بعض المشادات إما بحجة أن ثيابهم أو شواربهم طويلة .

أما في الحجاز فشرب الدخان منتشر والمحافظة على صلاة الجماعة لم تكن في الحجاز مثلها في نجد وكذلك اللحى لم يكن شباب الحجاز في ذلك الوقت يحافظون على لحاهم.

وكانت هذه الأمور دائماً مدعاة إلى الاحتكاك بين الإخوان النجديين وبين أهالي الحجاز.

وقد اشتد الأمر بعد فتح جدة واستسلام الحجاز جميعه إلى سلطان نجد. كان عظمة السلطان كثيراً ما يشتد على الإخوان ويتبرأ من غلوائهم. ولكن تعديهم لم ينقطع وقسوتهم كانت مستمرة لقد كان أخشى ما أخشاه أن تمتد أيديهم على الحجاج وأكثرهم يدخنون أو يحلقون لحاهم ولا تقبل حكوماتهم أن يعامل رعاياهم هذه المعاملة القاسية.

لقد كنت أوضح هذه المخاطر قبل وقوعها وبعد وقوعها إلى عظمة السلطان، ولكن عظمته كان يعمد دائماً إلى حل مايحدث بالحكمة وحسن السياسة، ولكن الإخوان كانوا لا يعرفون الحكمة ولا يقدرون المسئولية الملقاة على عاتق الرجل العظيم.

جلالة الملك سعود

لقد كانت سنة ١٣٤٤ (١٩٢٦) من أشد السنين عناء. في يوم من آخر أيام شهر ذي القعدة حضر إلى دار الحكومة قنصل مصر ونائب قنصل الهند ونائب قنصل هولندا وهو جاوي مسلم، كلهم يشكون من تعدي الإخوان ومعهم نحو عشر من الحجاج تسيل دماؤهم فوعدتهم بمعالجة الموضوع وأكدت أن مثل هذه الحوادث لاتخلو منها بلد من البلدان ولكنهم احتجوا بأن هذا التعدى كان باسم الدين وبتأييد الحكومة وأنه حدث على مرأى من رجال الشرطة فأكدت لهم بزن الحكومة لا علم لها بأمثال هذه الحوادث وأنها لاتقر هذا التعدي. لقد ذهبت من توي إلى مقر عظمة السلطان وأخبرت عظمته بجلية الأمر وخطورته وأن تمادى الإخوان سيكون سببا لخلق كبثر من المشاكل مع المسلمين.

وقلت إن الإخوان يفهمون حديث: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده - خطأ، إنما كان ذلك في عصر النبوة وبعض العصور التي لم يسدها الجهل والهوى، وإذا ترك الأمر على عواهنه وأعطى الحق لكل من هب ودب أن يقوّم الناس بعصاه سادت الفوضى .

وقد يكون من الأفضل أن يعين قاض من أهل نجد يترك له الفصل في أمثال هذه الحوادث، وكل من يرى منكرا يخبر الشرطة بما يرى والشرطة ترفع الأمر إلى القاضي والقاضي يقوم بالنصح أو التعزيز.

وقد ظن عظمته أنى أبالغ فيما رويت فلم أر من عظمته أذنا صاغية. ولما كنت أقدر المسئولية الملقاة على عاتقي وأعرف مدى ما يمكن أن يحدثه الإخوان من مشاكل قدمت استقالتي إلى عظمته.

لقد سبق أن حاول الإخوان قتل ثلاث قناصل مسلمين: قنصل روسيا وقنصل إيران وقنصل هولندا الجاوي بالرغم من إذن يحملونه من عظمة السلطان، ولكن

عناية ا هي التي أنقذتهم من موت محقق. وكما حدث من هجومهم على المحمل المصري ورجمه بالحجارة في منى لاعتقادهم بأن المحمل صنم يعبده المصريون وأن الناقور هو دعوة للشيطان إلى غير ذلك من الأوهام التي لا أساس لها .

لقد اعتصمت ببيتي وأحلت على عظمته جميع المشاكل التي تحدث من الإخوان وما أكثرها! فتحفف عظمته من خطورة الحال فعين بعض رجال حرسه للضرب على أيدي الإخوان وتأديب على من يتطاول على الحجاج، وعين قاضيا خاصا للنظر فيما يحدث من مشاكل الإخوان.

هكذا كان ميلاد هذه الجماعة والآن واضع أمر الجماعة تحت إشراف رجلين فاضلين من آل الشيخ لهما من العلم وسعة الأفق ورحابة الصدر ما أحيا فيهما كل أمل في أصلاح هذه الجماعة من أخذ الناس بالرفق وإصلاح حال المخطئين لالإرشاد والموعظة الحسنة.

وليذكروا قول ا لنبيه وهو القدوة الحسنة ونبراس الهدى « فيما رحمة من ا لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك» . وقول ا : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة».

إن أكثر ما يثير دهشة الناس هو تأديب المدخنين مع أن الدولة تستوفي ضرائب على الدخان وتحارب المهربين لهذه الشجرة الخبيثة. لقد ابتلى العالم بشر هذه الشجرة بعد اكتشاف أمريكا، وقد عجز الأطباء عن إقناع الناس بضرر التدخين صحيا. نسأل ا الهداية والسداد.

الخاتمة

لكل أجل كتاب، ولكل بداية نهاية، وقيمة كل امرئ بما يحسن. في ربيع الأول سنة ١٣٧٣هـ ٩ نوفمبر ١٩٥٣ فارق هذا العالم إلى دار الخلود المرحوم المنلك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود ففقدنا بفقده رجلا عظيما مَدَّ رواق مملكته المترامية الأطراف وبنى صرحها الشامخ لبنة فوق لبنة بعد كفاح مرير وحروب دامية ونضال سياسي. ولئن مات عبدالعزيز، كما يموت كل بشر فإن أعماله الخالدة ستقيى حية في صفحات التاريخ.

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

لقد أدى عبدالعزيز واجبه في الحياة على خير وجه يمكن أن يؤديه رجل عظيم مثله. وترك الأمانة لأكبر أبنائه الملك «سعود» وهو خير من يحملها. وإنه ليس بغريب عن بلاده. فقد رافق والده في كثير من حروبه، كما حمل كثيراً من الأعباء والمسئوليات السياسية والإدارية بالنيابة عن والده.

ولقد أبدى في السنة الأولى من حكمه نشاطا عظيما. فزار شمال بلاده في الشتاء القارس وجنوبها في القيظ الشديد للوقوف على حاجة البلاد وأهلها، غير عابئ بما يلاقي من مشقة وتعب في سبيل خدمة بلاده، ورفع مستوى شعبه، وتوفير جميع أسباب الرفاهية والرقي للأمة العربية من جميع النواحي الصحية والاجتماعية والعلمية.

والعالم العربي والإسلامي يبتهل إلى ا أن يسدد خطاه، ويجعل التوفيق حليفه، وأن يجعل عهده عهد سعادة ورخاء، وسعادة وهناء، وأن يحقق في أيامه مايصبو إليه العرب من اتحاد وعزة وتقدم. وا الموفق المعين، نعم المولى ونعم المصير.

الملك سعود

ولد الملك سعود في الثالث من شهر شوال سنة ١٣١٩هجرية سنة ١٩٠١ ميلادية وقد صادف ميلاده تحرير مدينة الرياض من آل رشيد المغتصبين. وقد نشأ سعود تحت رعاية والده العظيم فتعلم فنون الحرب العملية والفروسية العربية كما شارك والده في غزواته وتحرير جزيرة العرب من المعتدين وتأديب العصاة المفسدين.

وقد استسلمت إليه مدينة حائل في سنة ١٣٣٩ آخر معقل لآل رشيد.

وفي معركة السبلة ١٣٤٧-١٩٢٩ وهي من أهم المعارك التي دارت رحاها مع العصاة من الإ]وان النجديين بزعامة فيصل الدويش رئيس عشائر مطير وابن بجاد رئيس عيينة في هذه المعركة تولى الأمير سعود قيادة الجناح الأيمن وجنوده كلهم من أهل العارض المعروفي بالشجاعة وقوة الشكيمة فانهزم الإخوان شر هزيمة وجرح الدويش جرحا ظن أنه قاتل ولكن الفتنة عادت مرة أخرى.

فارسل سموه إلى الاحساء في آخر سنة ١٩٢٩ للحيلولة دون اتخاذ هذه المنطقة مركزا لفسادهم واعتدائهم.

وقد سافر إلى الخارج عدة سفرات كان أولها إلى مصر في صيف ١٩٢٦ وكان يرافقه فيها المؤلف فحققت زيارته من شدة التوتر الذي حدث بين الإخوان النجديين والمحمل المصري.

كما سافر بعد ذلك إلى أوربا وبالأخص بريطانيا عدة مرات كما زار أمريكا مرتين مرة في عهد الرئيس ترومان وأخرى في عهد الرئيس ايزنهاور.

وربما كانت حادثة إنقاذ والده من اغتيال اليمنيين بتعريض نفسه للخطر من

أنبل الأمثلة للإخلاص والافتداء.

وقد أسندت إليه ولاية العهد في ١٦ محرم ١٣٥٢الموافق ١١ مايو سنة ١٩٣٣ وللمير فيصل دور في إتمام هذا الأمر فإن المصلحة كانت تقضي بذلك .

وقد أرسل المرحوم الملك عبدالعزيز برقية نص وإرشاد إلى ولي عهده الأمير سعود.

برقية جلالة الملك

الرياض. الابن سعود:

لقد أحطت علماً بما ذكرت، أما من قبل ولاية العهد فأرجو من ا أن يوفقك للخير. تفهم أننا نحن الناس جميعاً ما نعز أحداً ولا نزل أحداً ، وإنما المعز والمذل هو ا سبحانه وتعالى ، ومن التجأ إليه نجا ومن اعتز بغيره (عياذاً با) وقع وهلك. موقفك اليوم غير موقفك بالأمس. ينبغي أن تعقد نيتك على ثلاثة أمور:

أولا- نية صالحة وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون دينك إعلاء كلمة التوحيد ونصر دين ا . وينبغي أن تتخذ لنفسك أوقاتاً خاصة لعبادة ا والتضرع بين يديه في أوقات فراغك تعبد ا في الرخاء تجده في الشدة وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يكون ذلك كله على برهان وبصرة في الأمر وصدق في العزيمة ولا يصلح مع ا سبحانه وتعالى إلا الصدق وإلا العمل الخفي الذي بين المرء وربه .

ثانيا - عليك أن تجد وتجتهد في النظر في شؤون الذين سيوليك ا أمرهم بالنصح سراً وعلانية والعدل في المحب والمبغض وتحكيم هذه الشريعة في الدقيق

والجليل والقيام بخدمتها باطناً وظاهراً وينبغي أن لا تأخذك في ا لومة لائم.

ثالثاً- عليك أن تنظر في أمـر المسلمين عامة وفي أمر أسرتك خـاصة. اجعل كبيرهم والدا ومتوسطهم أخا وصـغيرهم ولداً وهن نفسك لرضاهم وامح زلتهم وأقل عثرتهم واصنح لهم واقض لوازمهم بقدر إمكانـك فإذا فهمت وصيتي هذه ولازمت الصدق والإخلاص في العمل فأبشر بالخير.

أوصيك بعلمـاء المسلمين خيراً. احـرص على توقيرهم ومـجالستـهم وأخذ نصيحتهم. واحـرص على تعليم العلم لأن الناس ليسوا بشيء إلا با ثم بالعلم ومعرفة هذه العقيدة. احفظ ا يحفظك.

هذه مقدمة نصيحتي إليك والبـاقي يصلك إن شاء ا في غير هذا. سيبايعك الناس في الحجاز يوم الاثنين وسيـقبل البيعة عنك أوخوك فـيصل وسيصل إليك هو وأفراد الأسرة لتبليغك بيعة أهل الحجاز وليبايعوك عن أنفسهم وأرجو من ا أن يوفقك للخير.

عبدالعزيز

جواب سمو الأمير

جلالة مولاي الملك المعظم أيده ا :

جوابا على برقـية مولاي فإن جمـيع ماذكره مولاي لخادمـه هو عين الصواب وأنه لا قوام لديننـا ودنيانا إلا با ثم به. من اتبـعه نجا بنفـسه ونتـجا من ولاه ا عليه. وإن إن شـاء ا سأجـتهد وأعـتمـد ما ذكـره مولاي من النصائح الـدينية والدنيوية. وأرجو إن كان ا يعلم مني ذلك أن يوفقني لرضاه ثم لرضا جلالتكم وأن يوفقني لما فـيه صلاح الإسـلام والمسلمين وولايتهم وإن كـان يعلم مني ضد

الملك سعود في لندن

ذلك فاسأله تعالى أن يكفي المسلمين شري وأن يرد كيدي وكيد كل كائد على المسلمين إلى نحره. وسأبذل الاجتهاد إن شاء ا في سبيل كلمة التوحيد. وتقويم الشريعة المحمدية. والنصح للإسلام والمسلمين ظاهراً وباطناً والنسح لولايتهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة ذلك على كائن من كان. زرجو ا أن يعيننا على ذلك ويمنحنا التوفيق والسداد. إن النية التي ينطوي عليها خادمكن إن شاء ا هي:

أولا- إعلاء شأن كلمة التوحيد وتأييد الشريعة الإسلامية والنصح لولاية المسلمين وإنزال الناس منازلهم خصوصاً أسرتنا كبيرهم وصغيرهم كما تفضل به مولاي كبيرهم أب وأوسطهم أخ وصغيرهم ولد العدل بين الرعية وإني أعاهدك با على ذلك وإني ما ألبس ثوب عافية دونها وسأكون إن شاء ا مقيلا لعثرتهم حليما على جاهلهم. وهذا إن شاء ا هو العمدة في الدين والدنيا.

ثانياً - سأتخذ الصدق إن شاء ا والإخلاص والجد في العمل وسأوقر علماء المسلمين وأجالسهم وآخذ بنصائحهم وسأحضهم على تعلم العلم والتعليم وهذه هي العقيدة والتوفيق بيد ا .

ثالثاً- أن ما ذكره مولاي عن موقفي أمس وموقفي اليوم وأن الأمر لا يصلح إلا بالعمل الصالح والخالص لوجه ا ، وعبادة ا وحده والتضرع إليه في الخلوات والالتجاء إليه وحده فهذا الذي فيه النجاة وهذا الذي يرجى التوفيق إن شاء ا لزنه كما ذكر مولاي من التجأ إليه نجا ومن اعتز بغيره وقع وهلك. نرجو أن يمن ا علينا بالهداية وأن يأخذ بناصيتنا ويستعملنا فيما يرضيه وبما يكون فيه صلاح للدين ولولاية المسلمين وإن لأعلم بأن ا لم يظهركم إلا بسبب كلمة التوحيد والعقيدة الصالحة التي بين الإنسان وربه أرجو أن يوفقنا ا لذلك. وإن

شاء ا إن صلاحك سيصلحنا وإن نيتك الطيبة إن شاء ا تعمنا. والأمور التي أوصيتني بها أضعها نصب عيني وسأبذل جهدي إن شاء ا بما يعود منه المصلحة لديننا ودنيانا والتوفيق بيد ا وأرجو من مولاي الدعاء لخادمه بالبيت الشريف وأرجو من ا أن يديم لنا ولكافة المسلمين بقاءكم ولا يرينا فيكم ما نكره. وا يا طويل العمر إني يوم قرأت برقيتكم ما قدرت على إتمامها لتردد عبرتي وضيق صدري، وا أسأل أن يطيل عمركم ويجازيكم عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء . وأوصيت فأبلغت وستظل وصيتك في قلبي راسخة إن شاء ا ما حييت. أرجو أن يمد ا لنا في حياتك.

وفي ١٥ الحجة ١٣٧٢ أسندت إليه القيادة للقوات المسلحة.

وقد أصبح في تلك الفترة التي اشتد فيها المرض على والده - الملك غير المتوج، فصغائر الأمور وعظامها كانت تعرض عليه ولا ينفذ أمر بدون موافقته.

وفي يوم الاثنين ٢ ربيع الثاني ١٣٧٣ (٩نوفمبر ١٩٥٣ نودي بسموه ملكا للمملكة العربية السعودية، كما نودي بأخيه الأمير فيصل ولياً للعهد تنفيذاً لوصية الراحل العظيم.

وفي عهد جلالته أنشئت وزارة للمعارف والزراعة والتجارة وشيدت الطرق لربط المدن الكبرى بعضها ببعض.

أنشئت الرياض الحديثة على أنقاض الرياض القديمة فوسعت طرقها وأنيرت بالكهرباء .

وفي عهده أنشئت جامعة الملك سعود وهي وإن كانت متواضعة فالمستقبل كفيل بنموها وازدهارها كما أنشئ في عهده أيضاً الكلية العسكرية وسماها كلية الملك عبدالعزيز تخليداً لذكرى والده العظيم.

لاشك أن السنوات الثمان التي مضت وهي فترة قـصيرة كانت سنوات حركة وعمل ونشاط منقطع النظير في سائـر الميادين في العلم وإنشاء المدارس والصحة وبناء المستشفيات وغيرها من سائر الميادين.